قراءة فيلولوجية في النحو العربي

الاستاذ المساعد
ماجد عبد الحميد الكعبي
جامعة البصرة

يهدف البحث الى اعادة صياغة بعض المفاهيم والمواقف التعليمية والمصطلحات النحوية التي رافقت تطور الدرس النحوي منذ نشأته الى الحقبة التي اصبح فيها معرفة معقدة تستمد شرعيتها من السياقات والمواقف الافتراضية التي اسهمت في تعميق الفجوة بين النحو (بوصفه اداة لتصحيح الاخطاء وتصويبها لدى غير الناطقين بالعربية) و الانسان العربي الناطق فطرة بلغته الام . تلك الفجوة التي بدأت تتسع شيئا فشيئا عندما راح عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي(١١٧هـ) (الذي ينحدر من اصل لغوي - ثقافي مختلف) يلاحق مخطِئا الفرزدق (الشاعر الاعرابي التميمي الفصيح).

يقسم البحث على ثلاثة محاور بعد مقدمة في المنهج والتنظير، وكما يلي:

المحور الاول سيركز على نشأة النحو العربي وكشف المفارقة التي اسهمت في تغيير مسار الدرس النحوي فحولته من معايير ضبط وقواعد تعليمية الى مؤسسة معرفية معقدة البناء ومختلفة الاتجاهات ممثلة بمدارس البصرة والكوفة ثم لحقتهما بغداد ومصر و الاندلس.

اما المحور الثاني فقد خصص للجانب التطبيقي الذي سيتخذ من كتاب شرح ابن عقيل مثالا على التعسف في توجيه الشواهد الشعرية لخدمة القاعدة الافتراضية النحوية، من خلال تقديم بعض الاحصاءات والأرقام التي ستكشف ضعف الاستدلال بالشواذ من الشواهد والأمثلة المصنوعة. وسيركز هذا المحور - ايضا - على فكرة "ان النحو العربي كان صناعة اكثر من كونه قواعد تعليمية، وما النحويون إلا اصحاب حرف ومهن اتخذوا من تعقيد النحو وصناعته سبيلا للارتزاق والعيش في ظل القصور.

ويختتم البحث بالمحور الثالث الذي سيكرس لتقديم بعض الاقتراحات والإجراءات التي يأمل الباحث من خلالها اتخاذ خطوات عملية ملموسة يمكن ان تسهم في جعل النحو العربي قواعد تعليمية وظيفية تعزز بناء معرفة حقيقية هدفها التعليم المحض الذي يؤدي دورا عمليا ملموسا.

(اللغة مستودع اسلحة العقل البشري، الذي يتضمن دلائل انتصاراته في الماضي و اسلحة فتوحاته في المستقبل)

كوليردج

رؤية منهجية :

تم اختيار (الفيلولوجيا) بوصفها منهجا للدراسة نظرا للأهمية التي يكتسبها هذا الحقل المعرفي في الدراسات الانسانية المعاصرة بعدما احدث حضوره تحولا نوعيا وكميا في تقنيات المعرفة والعلوم اللغوية منذ نهاية القرن الثامن عشر والى مراحل متقدمة من القرن العشرين . يشهد على ذلك ما كتب من بحوث ودراسات تحت عنوان (العودة الى الفيلولوجيا) منذ مطلع الستينيات في القرن الماضي الى وقتنا الحاضر والتي تطالب

وتدعو الى الاستفادة مما تحقق في مجال الدراسات الانسانية في عصر التنوير الغربي على يد كبار الفيلولوجيين مثل : وليم جونز، هيردر، نيتشه، بوب، فولف و رينان. يضاف الى ذلك ان هذا المصطلح قد شابه بعض الغموض وعدم الدقة لدى توظيفه في الدراسات اللغوية العربية الحديثة. ولابد من وقفة – هنا- للبحث في اولية المصطلح وتطوره عبر القرون التي تداخل فيها – اصطلاحا ومفهوما – مع بعض الحقول المعرفية والتي بدورها اسهمت في تراكم الدلالات وتداخل الحدود فيما بينها حتى بات من الصعب جدا ان يعطي الباحث تعريفا واضحا ودقيقا لمصطلح (الفيلولوجيا) في وقتنا الحاضر- كما يقول جيفري غولت هارفام[١].

ما الفيلولوجيا ؟

ان مصطلح (الفيلولوجيا) مثل غيره من مصطلحات الدراسات الانسانية التي تشكو من تعدد المفاهيم وتداخل الحدود مع غيرها من المصطلحات بسبب طبيعة تلك الدراسات وارتباطاتها الوجودية والوجدانية بالانسان والتي تعكس الطبيعة المعقدة للإنسان نفسه. ويبدو ان ضرب اطناب هذا المصطلح عميقا في التاريخ الانساني اسهم بشكل او بآخر بتفرع دلالاته واتساع معانيه و اشتغالاته. فقد ذكر (هول) صاحب كتاب (دليل الى النصوص الكلاسيكية) : ان بداية تداول (الفيلولوجيا) - بوصفها مصطلحا في الدراسات الانسانية - خلال القرن الرابع قبل الميلاد في مدينتي الاسكندرية وايونيا اليونانية عندما احتاجت المؤلفات الادبية القديمة الى شرح وتفسير كي يتم فهمها بشكل افضل[٢]. ومن هنا يمكن فهم مصطلح (الفيلولوجي) على انه الوسيط الذي يتعامل مع النصوص الادبية القديمة شرحا او تفسيرا او تأويلا ليعيد تأهيلها وتقديمها بصورة اوضح الى القارئ. وبناء على ذلك فان مهمة (الفيلولوجي) اقرب الى المهمة التي يقوم بها الناقد او المؤرخ الادبي في وقتنا الحاضر. لكن تعريف المصطلح لم يبق محددا بهذا المفهوم بل راح يكتسب معاني جديدة عبر تجواله في المراحل التاريخية المختلفة ، فكل تعريف له غدا مقترنا بظروفه التاريخية التي رافقت توظيفه واستعماله[٣].

ولكي تتم الاستفادة من (الفيلولوجيا) بوصفها علما يعاد توظيفه في الدراسات الانسانية المعاصرة ليسهم من جديد في تقديم فهم افضل للنصوص القديمة تاريخيا ، لابد من التعريج على بدايات اشتغالاته في الحقول المعرفية المختلفة . ولتكن البداية مع المعاجم التي بدورها -ايضا - قد اختلفت في تحديد المعنى الحرفي والدقيق لهذا المصطلح ، فمعجم "المورد" العربي الحديث يمنح المصطلح تعريفين، الاول : فقه اللغة التاريخي والمقارن . والثاني : دراسة اللغة وعلى الاخص بوصفها اداة التعبير في الادب وحقلا من حقول البحث يلقي ضوءا على التاريخ الثقافي[٤]. اما في المعجم الانكليزي (Oxford) فان اصل تسمية المصطلح (فيلولوجيا) تعود الى اصل المفردة اللاغريقية (Philos) التي تعني : (Loving) :(محب) ، او حب المعرفة و الادب ، وتعني كذلك دراسة الادب بمفهومه الواسع والذي يتضمن النحو والنقد الادبي والتأويل وعلاقة الادب بالتاريخ ..الخ و تطورت دلالته فيما بعد ليصبح مصطلحا يعرّفه بـ : دراسة التركيب وتطور اللغات تاريخيا[٥]. ويضيف د. سعيد علوش معنى اصطلاحيا اخر الى مفردة (الفيلولوجيا) بقوله : هي طرق تستهدف انجاز نص، وتسهيل قراءته ونقده، بضمان شرعيته اللغوية[٦]. وهذا المعنى هو الاقرب الى المفهوم الذي عرف في الربع الاخير من القرن الثامن عشر على يد اللغوي الالماني وولف (F.A. Wolf) والذي عُرف بـ (الفيلولوجيا الجديدة). فقد درس وولف

النصوص الكلاسيكية للشاعر اليوناني هوميروس (Homer) صاحب اشهر ملحمتين شعريتين هما : (الالياذة) و(الاوديسة) دراسة فيلولوجية متتبعا فيها مراحل انتقال النص الشعري وتحوله من الرواية الشفوية الى النص الكتابي معتمدا على دراسة تاريخ النصوص دراسة لغوية مقارنة .

وقد عدت تلك الدراسة الاساس الذي شكل منطلقا لكل الدراسات الفيلولوجية التي تناولت الاصول اللغوية التاريخية للكتب المقدسة ، بداية من دراسة غولدزيهر(**Ignaz Goldziher**) عن التوراة و الاساطير، مرورا بـ فلهاوزن (Julius Wellhausen)، رينان (Ernest Renan)، مولر(F.Max Muller) ثم مرغليوث (D.S. Margoliouth) ودراسته الشهيرة عن اصول الشعر العربي وعلاقته بالنص القراني وانتهاء بـ اورباخ (Erich Auerbach) ودراسته المقارنة بين ملاحم هوميروس والقصص التوراتية(٧).

لقد حققت الفيلولوجيا تقدما نوعيا وكميا في حقل الدراسات الانسانية على مدى قرن من الزمان، وقد اسهمت شانها شان العلوم الصرفة مثل الفيزياء والكيمياء في تقدم البشرية الحضاري. و الفيلولوجيا لا تقل منزلة عن تلك العلوم – كما يرى ارنست رينان- الذي يقول : (ان مؤسسي العقل الحديث كانوا فيلولوجيين) ثم يردف بعد ذلك بقوله : (وما العقل الحديث ان لم يكن العقلانية ، والنقد، والتحرر الفكري وهي التي اسست جميعا يوم تأسيس الفيلولوجيا نفسها . وكل تقدم احرزته الانسانية منذ القرن الخامس عشر نستطيع نسبته الى عقول علينا ان نصفها بالانتماء الى الفيلولوجيا)(٨).

لذلك لا نجد غرابة عندما نسمع الاصوات تتعالى في العصر الحديث وتحديدا من بداية ستينيات القرن الماضي مطالبة بالعودة الى زمن الفيلولوجيا . بدأت من المانيا نفسها عندما أخذ هانز روبرت ياوس يرثي تاريخ الادب وحاله المتدهورة في الجامعات الالمانية داعيا الى احيائه والاهتمام به كما فعل اسلافه الفيلولوجيون من قبل في بحثه المعنون : (تأريخ الادب بوصفه تحديا لنظرية الادب) الذي صدر عام ١٩٦٧ . وبعد مرور ما يقارب العشرين عاما ظهر صوت اخر يطالب بالعودة الى الفيلولوجيا متأثرا بما اورده ياوس في كتابه الذي ترجم الى الانكليزية عام ١٩٨٢. ذلك هو الناقد الامريكي الذي كتب مقدمة نقدية للنسخة المترجمة عن نظرية ياوس و اصولها المعرفية . فقد كرر دي مان تلك المطالبة ببحث صدر عام ١٩٨٤تحت عنوان : (العودة الى الفيلولوجيا). وليس من المصادفة ايضا ان يصدر بعد مرور عشرين عاما اخرى بحث بالعنوان نفسه للناقد والمفكر العربي ادوارد سعيد في كتابه : (الانسنة والنقد الديمقراطي). ولم يقصد سعيد ان يحاكي بول دي مان او يعارضه بل ان سعيدا لم يكن بعيدا عن الفيلولوجيا و الفيلولوجيين منذ ان كتب (الاستشراق) لان كبار الفيلولوجيين قد دخلوا الى الاستشراق من باب الفيلولوجيا ، امثال : وليم جونز و رينان وغولدزيهر وغيرهم. وقد درس سعيد افكار هؤلاء الفيلولوجيين اجمالا في كتابه المعروف ، وتخصيصا في بحوث لاحقة كما في بحثه (الاسلام و الفيلولوجيا والثقافة الفرنسية : رينان و ماسينون)(٩). ويبدو ان سعيدا لم يكن يقصد بـ (العودة الى الفيلولوجيا) العودة الى الافكار نفسها التي جاء بها الفيلولوجيون المستشرقون مثل العرقية والدونية وتصنيف البشر على درجات عليا ودنيا والتي ناضل من اجل تفنيدها بل كان يقصد بالعودة الى الموضوعات الانسانية التي طرحها سعيد نفسه في كتابيه : (الاستشراق) و (العالم والنص والناقد) والتي استخلصها من افكار نيتشه و فيكو عن الفيلولوجيا. وبناء

على ذلك فان الفيلولوجيا - في نظره- (شيء يولد ، أو يُخلق بالمعنى الذي كان فيكو يقصده ، باعتباره دليلا على الجهد البشري ، وهو يخلق باعتباره مرتبة من مراتب الاكتشاف الانساني ، واكتشاف الذات ، و الاصالة . وما الفيلولوجيا إلا اسلوب من اساليب التمييز التاريخي للذات عن العصر الذي يعيش المرء فيه ، وعن الماضي القريب ، مثلما يفعل كبار الفنانين ، فكأنما يحدد المرء طابع حداثته في الواقع بهذا الاسلوب ، على ما فيه من مفارقات وتضاد في المعاني)[١٠].

وبعد تلك المقدمة المختصرة في المصطلح وماهيته وتحولاته، يستطيع الباحث ان يستخلص مفهوما معاصرا للفيلوجيا من اجل تبنيها بوصفها منهجا للولوج في دراسة تاريخ النصوص اللغوية دراسة نقدية تحليلية الهدف منها اكتشاف الذات المعاصرة . وتواصلا مع دلائل ذلك المفهوم يمكن اقتراح مصطلح بديل عن مصطلحي (فقه اللغة) و (علم اللغة التاريخي) للفيلولوجيا يضم كل العناصر الثلاثة المهمة التي افرزتها الدراسات في الفيلولوجيا على مر العصور تحت مصطلح (نقد النص تاريخيا). ولا شك في ان وجود النقد مع التاريخ يستبعد الفكرة الموضوعية المثالية للتاريخ بوصفه حقيقة غير قابلة للنقد وإعادة التحديث ، ثم يأتي النص ليكمل الاطار العام فيشمل النصوص اللغوية (الشفاهية والمكتوبة) وغير اللغوية بصرف النظر عن النوع و الحقل المعرفي الذي تنتمي اليه سواء كان لغويا(نحو ، صرف ، بلاغة ، الخ) او ادبيا(شعر ، نثر، رواية ، قصة، مسرحية ، الخ) أو دينيا (نصوص مقدسة ، احاديث نبوية ، سير الصحابة ، الخ) او فنيا(تشكيلية ، درامية، سينمائية ، الخ) او ثقافيا (سلوك ، عادات ، قيم ، الخ).

ويمكن الاستفادة من الفيلولوجيا – بهذا المفهوم – في دراسة تاريخ النحو العربي وظواهره البارزة دراسة نقدية تقويمية اصلاحية من اجل ان يكون ملائما للواقع الوظيفي المعاصر. فالنحو ليس قطعة اثرية من الحجر او الخزف ترقد بسلام كأيقونة اثارية في احدى القاعات الفخمة في المتاحف البريطانية والتي تذكرنا بتاريخ الاسلاف العظيم . النحو عماد اللغة و(اللغة مستودع اسلحة العقل البشري ، الذي يتضمن دلائل انتصاراته في الماضي و اسلحة فتوحاته في المستقبل).

النحو بين الايدولوجيا والانتحال :

تكاد تجمع المصادر والمراجع القديمة والحديثة على سبب واحد لنشأة النحو ، وهو : حفظ القران الكريم من اللحن[١١]، على الرغم من ان مفردة اللحن التي وردت في الروايات الكثيرة لا تدل دلالة قاطعة على ان المراد باللحن الخطأ في التركيب الذي يشكل الاساس الذي يبنى عليه (النحو) . لان النحو مرتبط بالمعنى و اذا اختل النحو اختل المعنى وعندها لا يفهم السامع المعنى المراد ، واللحن عكس ذلك فالمخاطب يفهم الكلام والمعنى لكنه لا يسمع نطقا صحيحا للمفردة فالتنغيم مختلف ، واختلاف التنغيم لا يخاف منه على القران لانه لا يمس جوهر المعنى، إلا ان كثيرا من المؤرخين قد اصروا على ان الخوف من اللحن في القران الكريم هو السبب الرئيس لنشوء النحو. وقد ذكر مؤرخو النحو حكايات وروايات كثيرة حول بداية ظهور اللحن في العربية ، اختلط معظمها بالايديولوجيا السياسية والدينية ، عندما ذهب كل فريق الى ذكر رواية تستند الى حدث او واقعة قد حصلت في زمن خليفة من خلفاء المسلمين والتي بدورها شكلت البذرة الاولى لنشأة النحو.

وعلى الرغم من ان اغلب المصادر تتفق على ان ابا الاسود الدؤلي - الذي كان واليا وقاضيا للإمام علي (ع) على البصرة - كان الشخصية المحورية التي تشكلت حولها حكايات النشأة والتي رجح د. شوقي ضيف ان (يكون ذلك من صنع الشيعة، و كأنهم رأوا ان يضيفوا النحو الى شيعي قديم ، فارتفع به بعضهم الى علي بن ابي طالب، ووقف اخرون عند ابي الاسود الدؤلي صاحبه الذي كان يتشيع له)[١٢] فان الرواة السنة قد ارجعوا اصول الحكاية الى عهد الخليفة الثاني ، فمثلا يذكرون : (ان عمر مرَ على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : (انا قوم متعلمين) فاعرض مغضبا وقال : (والله لخطؤكم في لسانكم اشد علي من خطئكم في رميكم) . ورواية اخرى تقول : ورد الى عمر كتاب اوله : (من ابو موسى الاشعري ، فكتب عمر الى ابي موسى بضرب الكاتب سوطا). وثالثة نصت على انه : (قدم اعرابي في خلافة عمر ...) وكذلك تنسب لعمر تلك المقولة المأثورة : (تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة). ثم تتعدد الروايات بشأن ذلك لتضاف رابعة تقول : (ومر عمر برجلين يرميان، فقال احدهما للآخر : (اسبت) فقال عمر : سوء اللحن في سوء الرمي)[١٣] وهناك رواة يجعلون الحجاج الثقفي الداعي الاول لوضع الاسس الاولى للنحو.

وهكذا يتبين ان الخلاف قد بدأ مبكرا حول تاريخ نشأة النحو الذي لم يتخلص تدوينه من الاهواء والنزعات والتقلبات المذهبية والسياسية والتي رافقته في عصور لاحقة لتدخل في صميم الحقل العملي بعدما كانت تدور حول مداره الخارجي . وما ثورة ابن مضاء القرطبي على العامل النحوي - كما يرى د. شوقي ضيف - إلا جزء من ثورة شاملة على التراث المشرقي الذي لم يعد ملائما لمواطني بلاد الاندلس. فقد دفعتهم الحاجة الى الاستقلال السياسي والفكري عن المشرق وعن تراثه الديني و الادبي والثقافي، وما ثورتهم على اصحاب المذاهب الاربعة إلا متممة للثورة الثقافية الكبرى في العودة الى الاصول : القران والسنة[١٤].

وهكذا القت تلك النزاعات الخلافية السياسية و الدينية بظلالها على الادب والثقافة والعلوم الانسانية الاخرى ومنها النحو الذي انتقلت اليه مصطلحات دينية بعينها مثل (الامام ، المذهب ، الخلاف ، الجدل ، البصرة العثمانية ، الكوفة العلوية ، وغيرها) . ولم يختلف رجل العلم عن السياسي ورجل الدين في بحثهم عن مصدر السلطة والقوة التي من خلالهما يثبت هيبته ونفوذه على الاخرين . وهكذا يعم الخلاف في نواحي الحياة كلها ليشمل اصحاب المدارس النحوية و المدارس الفقيه والمذاهب الكلامية والفلسفية وغيرها حتى وضعوا حديثا على لسان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) يقول : (اختلاف امتي رحمة). لقد اصبح الخلاف اساسا لكل شيء ولا مكان للمشاكلة . فأغلب العلماء والشعراء والنقاد كانوا يعتقدون بتفردهم العبقري الذي لم تعرف البشرية ابداعا غيره . فليس هناك مكانة للتواضع او لتقبل الرأي الاخر، كل واحد منهم يريد ان يكون ملكا أو زعيما أو شيخا لقبيلته في مملكته الصحراوية .فلم يتخلصوا من النزعة الصحراوية الاستحواذية الالغائية بعدما سكنوا المدن. و ما قول الخليل بن احمد الفراهيدي الذي يعد اللغوي والنحوي المؤسس للمدرسة البصرية لابن مناذر الشاعر : "انتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم"[١٥] إلا خير دليل على تحول المعرفة الى سلطة وجبروت تعلي من تشاء وتحط قدر من تشاء لدوافع ايديولوجية وليس لدوافع علمية موضوعية محضة. ويقول المستشرق نيكلسون معلقا على فعل الخليل : (ولما كان روح الابتكار حط من

شأنه فان اولئك الذين رغبوا في الحصول على موافقة هذه الاكاديمية المنشأة ذاتيا اضطروا الى اضاعة وقتهم ومواهبهم في استنساخ متقن للقطع الممتازة القديمة وتسلية رجال البلاط والمواطنين بصور مستعارة من الحياة البدوية تلك التي لم يكونوا ليهتموا بها هم ولا مستمعوهم باقل شكل)[١٦].

هذه الاكاديمية كانت تعلي من شأن الشعراء الجاهليين ومن سار على هداهم من الامويين الذين اعادوا قيم البداوة والتعصب العنصري التي لا ترى إلا الذات معبودا دون سواها فأخذت تهلل لشاعر مثل ذي الرمة وتقتبس اشعاره بوصفها شواهد نحوية وهو القائل :[١٧]

أبا الله إلا أننا ال خنـــــدف بنا يسمع الصوتَ الانامُ ويبصرُ
لنا الهامة الكبرى التي كل هامة وان عظمت منها اذل واصغر
انا ابن النبيين الكرام ومن دعا ابا غيرهم لا بد عن سوف يقهر
نبي الهدى منا وكل خليفـــة فهل مثل هذا في البرية مفخـر
لنا الناس اعطاهم الله عنـــوة ونـــحن له والله اعلى واكبر
اذا نحن سودنا امرا ساد قومـه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر
هل الناس إلا نحن ام هل لغيرنا بني خندف إلا العواري منـبر

لقد نقلوا الفكر الصحراوي الجاهلي الى ميدان العلم والمعرفة فشاعت قيم التسلط والطغيان و النزعة الاستحواذية وتملك الاخر. مثلما نقلوا الايديولوجيا الاموية عبر الشواهد الشعرية ايضا عندما استحضروا رموز الدولة الاموية بوصفهم شعراء فصحاء ، ليثبتوا حضورهم الثقافي بعدما ازيل وطمس وجودهم السياسي. فامتلأت كتب النحو بالشواهد الشعرية لبني امية وشعرائهم الموالين. ومن تلك الشواهد : قول عمرو بن العاص مخاطبا معاوية والذي ذكره ابن عقيل في شرحه :[١٨]

اتطمع فينا من اراق دماءنا ولولاك لم يعرض لا حسابنا حسن ؟؟

وقوله الذي ذكره الشارح قبله :

معاوي اني لم ابايعك (فلتة)! ومازال ما اسررت مني كما علن

ثم ذكر ابن عقيل مثالا اخر ليزيد بن الحكم بن ابي العاص :[١٩]

وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قنة النيق منهوي

وشاهد اخر في ابن ابي زياد :[٢٠]

فلا والله لا يلفي انـــــاس فتى حتاك يا ابن ابي زياد

وهكذا ضجت كتب النحو بالشواهد الشعرية المنسوبة لشعراء ينتمون ثقافيا وفكريا الى العصرين الجاهلي و الاموي. وما قصر عصر الاحتجاج بالشعر على تلك الحقبة إلا نوع من الحفاظ على تلك الثقافة الاموية وقوامها الجاهلي.

وقد رافق هذه الايدولوجيا مسار اخر لا يقل خطرا في تزييف الدرس النحوي وتعقيده ألا وهو كثرة الانتحال والوضع في الشواهد الشعرية التي تستند اليها القواعد الافتراضية . فمثلا لو اخذنا كتاب شرح ابن عقيل بوصفه مثالا تطبيقيا على كثرة الشواهد غير المنسوبة الى اسماء بعينها نجد ان النسبة تقترب من ٥٠% من مجمل الشواهد الشعرية الاخرى والتي جاءت مذيلة بعبارات : (هذا البيت من شواهد سيبويه التي لا يعلم قائلها) و (البيت احد الشواهد المجهول قائلها) و (هذا الشاهد من الابيات المجهولة نسبتها وكل ما قيل فيه انه لراجز من

طي) و (هذا البيت من الشواهد التي استشهد بها النحاة ولم ينسبوها الى قائل معين). ولو شفعنا ذلك كله برواية الاصمعي التي ذكرها السيرافي في كتابه (اخبار النحويين البصريين) لبان القصد واتضح المراد من التزييف. فقد ذكر ابو سعيد السيرافي ان الاصمعي روى عن يونس قال : (قال لي رؤبة بن العجاج : حتام تسألني عن هذه البواطيل و ازخرفها لك ؟ اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟)[٢١]. هذا الامام النحوي يذهب الى الشاعر ليضع له بيتا مفصلا على وفق القاعدة النحوية الافتراضية التي لم يجد لها شاهدا شعريا معروفا تتداوله الالسن فعمد الى الانتحال والتزييف .

وهناك امام نحوي اخر يصنع العويص من المسائل النحوية لكي تروج بضاعته ويكسب المال بصنعته. فقد روى الجاحظ في كتاب الحيوان انه سأل ابا الحسن الاخفش يوما : (انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ ومالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ فأجابه: انا رجل لم اضع كتبي هذه لله ! وليست هي من كتب الديـن !ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه قلّت حاجتهم الي فيها ، و انما كانت غايتي المنالة ، فانا اضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم يفهموا، و انما قد كسبت في هذا التدبير ، اذ كنت الى التكسب ذهبت)[٢٢].

اما الامام الثالث فقد افحمه رجل سياسي محنك استند الى قاعدة التواصل والموقف التي يمكن ان توجه المعنى فيتغير المبنى النحوي . يروى ان عضد الدولة فنا خسرو البويهي سأل يوما (الامام ابا علي الفارسي : لماذا ينصب المستثنى في نحو : قام القوم إلا زيدا ؟ قال : بتقدير استثني زيدا ، فقال عضد الدولة - وكان فاضلا – لم قدّرت استثني ؟ هلا قدرت امتنع زيد فرفعت ! فلم يُحر الفارسي جوابا)[٢٣].

واذا ما اضيف الى تلك الافعال ما قيل عن تأثر بدايات النحو العربي بالفكر واليوناني ومنطقه وقياسه تتضح الصورة الكلية لحجم التزييف والانتحال والتلاعب بالنحو وقواعده الافتراضية. وقد كان نفر من العلماء يعترف بذلك التزييف ، لكن لم تكن لديه القوة على التغيير بعدما اصبح النحو مؤسسة شبه رسمية ، لها دعاتها وحماتها والمدافعون عنها . فشكلت صرحا مقدسا لا يمكن المس به او التقرب من اسواره . فمثلا ان فكرة تزييف العامل التي تبناها ابن مضاء القرطبي لم تكن من ابتكاراته الشخصية بل ارجعها الى ابن جني ، وهي فكرة قديمة – كما يقول د. شوقي ضيف – [٢٤] لكنها لم تجد من يطورها او يفندها بسبب الخوف الشديد من رجال تلك المؤسسة المحروسة. وقد استمرت الحال الى العصر الحديث فلم يجرؤ احد على نقد تلك المؤسسة ورجالها بحجة القدسية التي اكتسبتها من اقترانها بالقران الكريم ودراساته. لذلك لا نستغرب عندما نسمع طه حسين يقول في تقديمه لكتاب احياء النحو :(وكان النحو اشد موضوعات الحديث خطرا)[٢٥].

لقد كانت هناك دعوات صريحة فضحت التزييف بكل اشكاله و اقرّت بان هناك تلاعبا وانحرافا في مسيرة الدرس النحوي لكن العيب الذي حال دون تاثيرها هو انها جاءت فردية وفي مدد متباعدة فلم تستطع ان تشكل تيارا جارفا يزعزع الاساس المعوج فضلا عن انها تفتقد البناء الايديولوجي والسياسي المضاد لتلك الايدولوجيا القديمة المحصنة.

ولو تتبعنا مسار تلك الاصوات التي ضاقت بالنحو و اقيسته القديمة في العصر الحديث لوجدنا اصواتا صادقة وعلمية وموضوعية قد نطقت بها حناجر المجددين والمحافظين على حد سواء.

فمن اوائل تلك الدعوات ما كان يطالب به طه حسين و ابراهيم مصطفى في عهد مبكر في الازهر. فقد عبر الاول عن برمه وضيق صدره بتلك الاصول واصفا بدايات الدعوة التجديدية بقوله : (ضقنا بأصوله القديمة منذ عهد الازهر ، و اخذنا ننكر هذه الاصول ايام الجامعة القديمة ، و اخذنا نلتمس له اصولا جديدة منذ التقينا في الجامعة الجديدة..فاقترحت هذا الاسم الذي رسمه به (احياء النحو))[٢٦].

ولا بد من التذكير هنا ان جميع تلك الدعوات لم تكن مجرد صيحات تشخيصية نقدية نظرية بل كانت مقدمات عملية تطبيقية لبناء تغيير حقيقي يسند الى حلول واقتراحات تمثلت في اصدار كتب ومؤلفات تعيد قراءة النحو بشكل جديد. فمثلا انطلق ابراهيم مصطفى من دراسة واقعية للنحو القديم الذي اثبت فشله في (ان يكون السبيل الى تعلم العربية والمفتاح لبابها)[٢٧]، لذلك اقترح منهجا جديدا من اجل تخليص النحو من تعقيدات كثيرة لا علاقة لها بالقواعد التعليمية. وعلى هذه الخطى سار تلميذه د. مهدي المخزومي الذي شخص بهدوء اسباب المشكلة التي لخصها بقوله : (وساعد على ذلك ان كان من النحاة الاولين من له اتصال بالمنهج الكلامي وملابسة له ، وان اغرى المنهج الكلامي الدارسين فغلبوه على دراسة اللغة والنحو ، وتسللت اليها مصطلحات الكلام ومبادئه و اصوله، وظن المتأخرون ان ليس في الامكان ابدع مما كان ، فغلوا في ذلك غلوا كبيرا ، واخذوا يعالجون مسائل اللغة والنحو معالجة خرجت بهما عن حدودهما، و اغلقت من دونهما نوافذ الحياة ، فعادا وكأنهما من فروع الفلسفة، او من مباحث المنطق، لا ذوق فيها ولا حياة)[٢٨].

وقد لا يستغرب كثير من المحافظين تلك الدعوات الصادرة عن اناس عرفوا بالتنوير والدعوة الى التجديد لكن الذي يجب ان يستغرب له هؤلاء المحافظون هو ظهور صوت محافظ من بينهم ينعت بأشد العبارات قسوة ذلك النحو ورجاله واصفا اياهم بـ (المفسدين). يقول د. شوقي ضيف الذي فيما يبدو انه كان مخدوعا بالنحو وقواعده قبل ان يطلع على دعوة ابن مضاء القرطبي : (**والحق** ان الانسان لا يقرأ الصحف الاولى من شرح السيرافي على كتاب سيبويه حتى **يشك في قيمة كل ما وضعه النحاة من علل و اقيسة في نحوهم**)[٢٩]. ويبدو ان الصدمة قد اثرت به كثيرا عندما ذهب يكرر ذلك الاتهام المرة تلو الاخرى في مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي بقوله : (ان النحاة افسدوا النحو بكثرة ما وضعوا فيه من فروع ، وعلل و اصول و اقيسة ومسائل غير عملية)[٣٠]. ولم يهدأ روعه ويطمئن قلبه إلا بعد ان وضع ثلاثة كتب في تجديد النحو واللغة يساير فيها تلك الخطوات التي بدأت منذ العصور الاولى والتي رافقت نشأة النحو نفسه.

واذا كانت الدراسات السابقة قد اقترحت تعديل او حذف او تبويب الموضوعات النحوية والذي كان اغلبها يتمحور حول الغاء نظرية العامل فان مقصد هذه الدراسة التنبيه الى التزييف والتحريف الذي اخذ على انه شيء مقدس جيلا بعد اخر. فالهدف الرئيس كشف الجانب الساخر في النحو الذي سيؤدي الى فضح النوايا المادية والنفعية و الايديولوجية التي وقفت وراء تعقيد النحو بحجة خدمة اللغة العربية والقران. ان الابتعاد عن المجاملة والتبرير للافعال القبيحة كفيل بالوصول الى الحقيقة لان الثورة الحقيقية لم تحدث بعد . لقد ربط النحو بالقران

فاكتسب قدسية مزيفة جعلت الناس تخشى تفنيد اسباب تعقيده الواهية ، فتقبلوا كل ما جاء من روايات و اخبار بشان النحو على انها حقائق وليست خزعبلات. فتحول النحو من تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الى نحو افتراضي بني في مرحلة من الترف العقلي والخلاف العقائدي والمذهبي .

البداية : تعليمية والنهاية : صناعة شواهد لقواعد افتراضية

لاشك في ان النحو قد وضع لغايات ومقاصد تعليمية ، لكن ليس للناطقين بالعربية فطرة بل للداخلين في الاسلام حديثا ولا سيما الاعاجم. بيد ان هذه البدايات سرعان ما تحولت على يد هؤلاء الاعاجم الى اقيسة وقواعد مطردة تشهر بوجه الشعراء الاقحاح من ابناء العرب الذين لا يشك بفصاحتهم . وخير مثال على ذلك تلك الروايات المعروفة التي حدثت بين عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي المولى المتوفي سنة ١١٧هـ والفرزدق الشاعر التميمي الاعرابي[٣١].

وهذا امر غريب حقا، و الاغرب منه ذلك التناقض الذي تحمله الروايات التي نقلت عن بدايات النحو و الاحكام الخطرة التي رويت على السنة هؤلاء النحاة الاوائل والتي يستطيع المتامل فيها ان يكشف الزيف بسهولة. وخير مثال على ذلك القاعدة الذهبية التي اطلقها عبد الله الحضرمي : (عليك بباب من النحو يطرّد و ينقاس) في الرواية التي يذكرها تلميذه يونس بن حبيب[٣٢] والتي تتناقض تماما مع مضمون رواية اخرى ينقلها ابو سعيد السيرافي عن تلميذه الاخر عيسى بن عمر عندما سأل احدهم عيسى بن عمر عن ما وضعه من قواعد قائلا : (اخبرني عن هذا الذي وضعت ، يدخل فيه كلام العرب كله ؟ قال : لا ، قلت فمن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به ، أتراه مخطئا ؟ قال : لا . قلت فما ينفع كتابك ؟)[٣٣] وللكشف عن التناقض بصورة اوضح نذكر توضيح د. شوقي ضيف حول قضية الاطراد التي قال فيها مبينا : (ومعروف انه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لابد له من اطراد قواعده وان تقوم على الاستقراء الدقيق، وان يكفل لها التعليل وان تصبح كل قاعدة اصلا مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياسا دقيقا. وكل ذلك نهض به ابن ابي اسحاق وتلاميذه البصريون)[٣٤].

من نصدق؟ ومن نكذب؟. اذا كان الاطراد يتطلب كل ذلك ، وان كتاب ابن عمر لا يدخل في كلام العرب كله (اي غير مطرد) ومن تكلم بخلاف ما جاء في كتابه ليس مخطئا ، فكيف نصدق ان تلك القاعدة تنسب الى الحضرمي. علما ان وجود فكرة القياس والشذوذ في اللغة اللاتينية كان معروفا في القرن الثاني قبل الميلاد[٣٥].

ولنضرب امثلة تطبيقية على ذلك من شرح ابن عقيل، ففي هذا الشرح نجد بعض الجمل المكررة تاتي لصيقة مع الشواهد الشعرية مثل : قال احدهم، وقال بعض الشعراء، وقوله، ومنه قولهم ،وما اكثر ورود (وقال : اخر) و اذا اردنا ان نعرف من هذا الاخر، اخبرنا الشارح رحمه الله : بان هذا البيت لم تعرف نسبته الى احد ! اوان هذا البيت لم نقف على نسبته لقائل معين! هل يعقل اننا ناخذ القاعدة من بيت شعري لم يعرف قائله ؟ ونخالف بذلك قاعدة ذهبية تقول : ان قواعد اللغات تستنبط من لغة الناس المتداولة بينهم.

و الاغرب من ذلك ان ابن عقيل نفسه حينما يقرر ان شاهدا من الشواهد الشعرية كان مصنوعا فان الشارح يحتج عليه ويعارضه و يأتي بشواهد شعرية اخرى تفند مزاعمه ! ، و كما في الشاهد الاتي :[٣٦]

اعرف منها الجيد و العينانا ومنخرين اشبها ظبيانا

و لناخذ مثالا اخر من شرح ابن عقيل في موضوع حروف الجر ولاسيما الجر بـ (لولا) فمذهب سيبويه : (انها من حروف الجر ، لكن لا تجر إلا المضمر ، فنقول : لولاي ، ولولاك ، ولولاه ، فالياء والكاف والهاء - عند سيبويه – مجرورات ب (لولا) وزعم الاخفش (تلميذ سيبويه وهو الذي اخفى الكتاب ثم اخرجه بعد ذلك) انها في موضع رفع بالابتداء ، ووضع ضمير الجر موضع الرفع ، فلم تعمل (لولا) فيها شيئا ، كما لا تعمل في الظاهر، نحو (لولا زيد لأتيتك) وزعم المبرد : ان هذا التركيب – اعني : (لولاك) ونحوه لم يرد من لسان العرب! . كلهم يزعمون ولا ندري اين الحقيقة ؟

ومن المسائل النحوية المصنوعة لغرض غير علمي، قضية دخول الكاف بوصفها حرف جر يدخل على الضمائر (والتي ذكرت في الجزء الثالث ايضا)، فجاءت امثلتهم المصنوعة لتعبر عن ضمائر غير عربية بل اعجمية لم تعتدها الاذن، كما في قول رؤبة بن العجاج :

ولا ترى بعلا ولا حلائلا (كه) ولا (كهن) الا حاظلا

قال اللغوي اليزيدي البصري:

شكوتم الينا مجانينكم ونشكو اليكم مجانيننا

فلولا المعافاة كنا(كهم) ولولا البلاء لكانوا(كنا)

وشفع المحقق هذين البيتين بقول الاخر !:

لا تلمني فأنني (كك) فيها اننا في الملام مشتركان

ولننظر الى هذه اللغة اذا كانت عربية ام رطانة هندية : (كه ، كهن ، كهم ، كنا ، كك) !

ان الامثلة على القواعد المصنوعة والشاذة كثيرة جدا ، ونضيف الى ذلك بعضا منها للدلالة على ان النحو العربي كان يعيش في مشاكل حقيقية تظهر مدى الارباك الثقافي والمعرفي الذي انتجها. فمثلا ان حروف الجر في العربية يعرفها العالم والجاهل، فهل هناك حاجة لاضافة (لعل ومتى) لها، بحجة ان الجر بـ (لعل) لغة عقيل والجر بـ (متى) لغة هذيل؟ اين عقيل وهذيل الان؟ انهما في ذمة التاريخ، ولا زالت شواهدهما قابعة في بطون كتبنا النحوية[٣٧]:

لعل ابي المغوار منك قريب

لعل الله فضلكم علينا بشي ان امـــكم شريم

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

ومن الشواهد التي اختلفوا حولها على الرغم من انها لا تستوجب خلافا ومماحكة ولا تفصيلا ولا تأويلا قول امرئ القيس [٣٨]:

تنورتها من اذرعات ، و اهلها بيثرب ، ادنى دارها نظر عالي

فقد فصل فيه الشارح ودبج كلاما ما القصد منه إلا التعقيد والتطويل واستعراض القدرة على المماحكة في القول. ولنقتبس النص كاملا كي نرى كيف ملئت الكتب بالحواشي وبالهوامش على الهوامش، و الصفحات تلو

الصفحات بكلام يدل على ترف عقلي وامتلاك سعة كبيرة من الوقت. قال الشارح رحمه الله[٣٩]:

(الشاهد فيه : قوله (اذرعات) فان اصله جمع ، كما بينا في تقدير الناظم ، ثم نقل فصار اسم بلد ، فهو في اللفظ جمع ن وفي المعنى مفرد . ويروى في هذا البيت بالأوجه الثلاثة التي ذكرها الشارح : فاما من رواه بالجر والتنوين فانما لاحظ حاله قبل التسمية به ، من انه جمع بالالف والتاء المزيدتين ، والذين يلاحظون ذلك يستندون الى ان التنوين في جمع المؤنث السالم تنوين المقابلة ، اذ هو في مقابلة النون التي في جمع المذكر السالم. وعلى هذا لا يحذف التنوين ولو وجد في الكلمة ما يقتضي منع صرفها ، لان التنوين الذي يحذف عند منع الصرف هو تنوين التمكين. وهذا عندهم كما قلنا تنوين المقابلة ، و اما من رواه بالكسر من غير تنوين – وهم جماعة منهم المبرد والزجاج – فقد لاحظوا فيه امرين : اولهما انه جمع بحسب اصله ، وثانيهما : انه علم على مؤنث ، فأعطوه من كل جهة شبها ، فمن جهة كونه جمعا نصبوه بالكسرة نيابة عن الفتحة ، ومن جهة كونه علم مؤنث حذفوا تنوينه، و اما الذين رووه بالفتح من غير تنوين – وهم جماعة منهم سيبويه وابن جني – فقد لاحظوا حالته الحاضرة فقط، وهي انه علم على مؤنث ، فقد اجتمع فيه العلمية و التأنيث ، وكل اسم تجتمع فيه العلمية مع التأنيث يكون ممنوعا من الصرف فيجر بالفتحة نيابة عن الكسرة).

وهناك مثال اخر يدل على الحذلقة والسفسطة التي لا تهدف إلا لزيادة المشقة والتكلف وتعقيد النحو ببسط الشرح في الفروع والمسائل الخلافية كما في النص الاتي[٤٠]:

(وما ذكره المصنف من ان المثنى والملحق به يكونان بالألف رفعا والياء نصبا وجرا ، وهو المشهور في لغة العرب) وهنا يحسن السكوت ويجب ان تنتهي المسألة ، لكن الشارح يأبى ذلك ، فتدفعه حمية النحوي الى ان يستمر بالسرد والتفصيل من اجل تعميق الخلاف فيردف كلامه السابق بقوله : (ومن العرب (كنانة ، و بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني هجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل و زبيد و خثعم و همدان وعذره) وخرج عليه قوله تعالى : (ان هذان لساحران) وقوله (ص): (لا وتران في ليلة) من يجعل المثنى والملحق به بالالف مطلقا : رفعا ونصبا وجرا ، فيقول : (جاء الزيدان كلاهما ، و رأيت الزيدان كلاهما ، ومررت بالزيدان كلاهما).

ان الولع بذكر مثل تلك التفاصيل – هنا - (فضلا عن ما قيل سابقا) يدل على رغبة ملحة في اظهار الخلاف ، بسبب ان معظم النحويين كانوا ينتمون الى مدارس دينية وكلامية و التي تميل بدورها الى تلك الاساليب في الحجاج والجدل ، بيد ان تأكيد المسائل الخلافية لا يعني الوصول الى التناقض على الرغم من ان الشارح قد قسم العرب الى جهتين : واحدة تشتهر بتوافقها مع القواعد النحوية و اخرى قد خالفت ذلك لكن شاهدا من القران الكريم وحديثا من قول الرسول(ص) يؤيدان ذلك الاستعمال. فالكفتان متعادلتان ليس فيهما غالب ومغلوب ، و كانما اراد الشارح ان يقر بجواز الامرين . و كتاب شرح ابن عقيل بجميع اجزائه يعج بتلك الامثلة والشواهد التي تثقل كاهل المتعلمين بالشروح المستفيضة والتي لا تؤدي الى نتائج واضحة يمكن ان تسهم في استلهام القواعد الصحيحة والتطبع عليها بل تزيد من الغموض وتبعث في النفس السأم والملل.

واستكمالا لمسيرة البحث في كتاب شرح ابن عقيل فقد تم احصاء الشواهد الشعرية في الجزء الاول منه فقط ، ليتبين ان[٤٣] شاهدا لم يعرف لها قائل ولم تنسب الى احد و واحد شاذ و اخر مصنوع و(٥) شواهد اخرى جاءت للتمثيل فقط وليس للاستشهاد لانها تنسب الى شعراء عباسيين مثل ابي نؤاس والعباس بن الاحنف و ابي

العلاء المعري من اصل ما يقارب الـ (١١٠) من مجموع الشواهد كلها. وهذا يدل على ان ٥٠% تقريبا من الشواهد مشكوك بانها مصنوعة لاسيما اذا عرفنا ان تلك الشواهد قد وردت في استعمالات لغوية ونحوية غير مشهورة ويكثر حولها الخلاف، بعكس الشواهد التي عرف اصحابها و التي جاءت في سياقات واضحة واستعمالات معروفة.

يضاف الى ذلك وجود اصرار غريب من لدن المحقق على استبعاد الشواهد العباسية المدونة والتي لا يشك احد في نسبتها او في فصاحتها من الاعتراف بها بوصفها شواهد احتجاج ، في حين تقبل الشواهد التي لا يعرف من قالها بحجة انها تنتمي الى عصر الاحتجاج. و الاشد غرابة حقا هو ذلك الاطراء الكبير والثناء والتبجيل الذي اختطه المحقق في حق ابي العلاء وشعره ، واصفا اياه بـ (نادرة الزمان وواحد الدهر حفظا وذكاء وصفاء نفس، وهو من شعراء العصر العباسي الثاني من الدولة العباسية) لكنه (لا يحتج بشعره على قواعد النحو والصرف. والشارح انما جاء به للتمثيل لا للاحتجاج والاستشهاد به)[٤١].

ان هذا الاضطهاد الفكري والتعسف في اطلاق الاحكام وجعل هؤلاء المتنطعين اوصياء على اللغة ونحوها هو السبب الرئيس في تحجر تلك القواعد وبقائها كاحفوريات تاريخية ليس لها قيمة وظيفية. ليصبح القول مردودا على التوحيدي الذي قال : (ان استاذه ابا سليمان المنطقي جعل من اسباب تفوق اللغة العربية على غيرها من اللغات : ان لها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل)[٤٢] فاللغة العربية اليوم تتخلف عن اللغات كثيرا بسبب ذلك المنطق ، ليس هذا فحسب بل انها تعد من اللغات المهددة بالانقراض.

ومن خلال كل ما تم بيانه يمكن ان نخلص القول في بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن ان تضاف الى الجهود والمحاولات السابقة والتي تمت الاشارة اليها في ثنايا البحث. فهي تمثل انجازات كبيرة وتقدم خدمة واقعية في تيسير النحو وتخليصه مما علق به من تعقيدات وصعوبات لم تكن لاغراض تعليمية محضة . ولا استطيع ان ازعم ان هذه المحاولة سوف تضيف شيئا كبيرا، لكنها تنبه – حتما – الى مواضع الخلل وتؤكد الحاجة الانية الفعلية للتغيير في قواعد الدرس النحوي الاكاديمي، فضلا عن العلوم الانسانية الاخرى. لذلك نود هنا ان نطرح بعض المسائل التي لم يشر اليها الدارسون والتي من اهمها :

وضع كل تلك القواعد النحوية التي صنعت في زمن الترف العقلي اعتمادا على المنطق والفلسفة و اقيستهما في كتاب يدعى بـ (تاريخ النحو) يخصص لطلبة الدراسات العليا من اجل الافادة منه في الدراسات المقارنة بين اللغات. فضلا عن اتباع بعض الخطوات التي تسهم في اعادة صياغة الدرس النحوي ذاته والتي يمكن اجمالها بما يلي:

- ترفع كل الشواهد الشاذة ، الشعرية وغيرها من كتب النحو المدرسية.
- يعاد صياغة كل الامثلة التي اعتمدت على شواهد شعرية لم يعرف من الذي قالها.
- تحذف كل قاعدة نحوية يجوز فيها الامران .
- لا يعتد بالمسائل الخلافية ولاسيما بين مدرستي البصرة والكوفة.
- تسنبط القواعد النحوية من القران والمصادر الادبية واللغوية بصرف النظر عن انتمائها لعصر الاحتجاج.
- تخصيص دروس تطبيقية (كتابية وشفوية) بقدر القواعد النظرية. ليتسنى للدارس الاستفادة من القواعد في الممارسة الفعلية في حياته المهنية ونشاطاته الابداعية.
- دمج علم المعاني مع درس النحو.

الهوامش

١- ينظر: Harpham. G. G., 2011:55

٢- ينظر: Hall. F .W, 1913: 31

٣- ينظر: Gurd. S., 2010:1

٤- المورد (قاموس انكليزي – عربي) ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،٢٠٠٧ .

٥- ينظر: Catherine. S, Sara , Jan Ziolkowski, 1990, 5: H, and Julia. E., 2005:674

٦- معجم المصطلحات الادبية (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - الدار البيضاء ، ١٩٨٥.

٧- للمزيد من التفاصيل والأمثلة ينظر: Hourani,1991:28-34

٨- هذا القول للمفكر الفرنسي ارنست رينان ، اقتبسه ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق ، ١٩٧٨، ٢٢٤ ، ترجمة د. محمد عناني ، وقد قمت بتثبيت مصطلح الفيلولوجيا نفسه كما موجود في النسخة الانكليزية ، حيث ان ترجمة الفيلولوجيا بـ (فقه اللغة) امر يجافي الحقيقة ويقلل من اهمية هذا الحقل المعرفي الخطير الذي لم تمس جوهره كتب فقه اللغة – نقصد كتب فقه اللغة المؤلفة باللغة العربية . ليس هذا فحسب بل ان هذه الترجمة لا تثير فضول القارئ العربي ولا تلفت انتباهه لما اعتاد عليه من قراءة بعض المباحث التي تخص نظريات نشأة اللغة واللهجات واختلافاتها والمعاجم . وهذه الموضوعات ليست في صميم الفيلولوجيا الحديثة التي اختطها رينان واسلافه.

٩- صدر هذا الكتاب بالانكليزية عام ١٩٨٣ وترجمه الى العربية عبد الكريم محفوظ في عام ٢٠٠٠ والذي لم يترجم الفيلولوجيا بـ (فقه اللغة).

١٠- ينظر : الاستشراق ، ترجمة ، د. محمد عناني ، دار رؤية ، ٢٠٠٦،٢٢٤.

١١- ينظر على سبيل المثال : في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ١٣، والمدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ،١١.

١٢-المدارس النحوية ، ١٥.

١٣- من تاريخ النحو ، سعيد الافغاني ، الجامعة اللبنانية ،د.ت ، ٣ وما بعدها

١٤- الرد على النحاة ، ١٨.

١٥- الاغاني ، الجزء ١٨، الصفحة ١٩٠.

١٦- تاريخ الادب العباسي ، ترجمة: د. صفاء خلوصي ، ٥٨.

١٧- ديوانه ، عني بتصحيحه وتنقيحه : كارليل هنري هيس مكارتني ، كمبريج ، ١٩١٩.

١٨- شرح ابن عقيل ، الجزء الثالث ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ٧.

١٩- المصدر نفسه ، ٨.

٢٠- المصدر نفسه ، ١٠.

٢١- اخبار النحويين البصريين ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٤، ٨٤.

٢٢- كتاب الحيوان ، طبعة الحلبي ، ٩١/١.

٢٣- احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، القاهرة،١٩٣٧ ، ٣٧.

٢٤-الرد على النحاة ، ٢٥ .

٢٥-احياء النحو،المقدمة ، ز- ن .

٢٦-المصدر نفسه ، ز- ن.

٢٧- المصدر نفسه ، د.

٢٨-في النحو العربي ،د. مهدي المخزومي ، ٢٥ .

٢٩-الرد على النحاة ،٤١.

٣٠-المصدر نفسه ، ٤٤.

٣١- يراجع في اصل الروايات كتاب د. شوقي ضيف ، ٢٣ و ما بعدها.

٣٢- المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ، دار المعرف ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، د.ت.

٣٣-اخبار النحويين ، ٨٢.

٣٤-المدارس النحوية ، ١٨.

٣٥-الاستشراق ، ٢٤٠.

٣٦-شرح ابن عقيل ، الجزء الثالث ،١٢ .

٣٧-المصدر نفسه ، ٥-٦.

٣٨-المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ٧٦.

٣٩-المصدر نفسه،٧٦-٧٧.

٤٠-المصدر نفسه ، ٥٨.

٤١-المصدر نفسه ، ٢٥١.

٤٢- المقابسات ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : حسن السندوبي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٢، ١٦٩.

المصادر العربية

- احياء النحو ، د. ابراهيم مصطفى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٧، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ .
- اخبار النحويين البصريين ، ابو سعيد السيرافي ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٤.
- الاستشراق ، ادوارد سعيد ، ترجمة : د. محمد عناني ، دار رؤية ، ٢٠٠٦.
- تاريخ الادب العباسي ، رينولد نكلسون ، ترجمة : د. صفاء خلوصي ، المكتبة الاهلية في بغداد ، ١٩٦٧.
- ديوان شعر ذي الرمة ، عني بتصحيحه وتنقيحه : كارليل هنري هيس مكارتني ، كمبريج ، ١٩١٩.
- شرح ابن عقيل ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، دار التراث ، الطبعة العشرون ، ١٩٨٠.
- العالم والنص والناقد ، ادوارد سعيد ، ترجمة : عبد الكريم محفوظ ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٠.
- في النحو العربي ، نقد و توجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦.
- كتاب الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٤٧ و الطبعة الثانية ١٩٨٢.
- المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة السابعة ،د.ت.
- معجم المصطلحات الادبية (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - الدار البيضاء ، ١٩٨٥.
- المقابسات ، ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : حسن السندوبي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٢.

المصادر الانكليزية

- **Catherine**. S, **Sara**. H, and **Julia**. E.(2005) *Oxford English Dictionary*. Oxford: University Press.

Gurd. S.(2010) *Philology and Its Histories*. The Ohio State University Press/Columbus.

Hall. F. W(1913) *A companion to Classical Texts*, Oxford: The Clarendon Press.

Harpham. G. G.(2011)*The Humanities and the Democracy of America*. Chicago and London : The University of Chicago Press.

Hourani. A.(1991)*Islam in European Thought*. Cambridge University Press.

Said. W. E.(2004) *Humanism and democratic criticism* Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Ziolkowski. E.(1990) *On Philology*, The Pennsylvania State University Press-university Park and London.